طبع

قبل سنوات قليلة في طهران بطلب من حكومة ايران وباشراف الاستاذ عباس اقبال كتاب تجارب السلف في تاريخ خلفاء الاسلام ووزرائه وملوك الاقطاع في الممالك الاسلامية منذ عهد النبي حتى آخر خليفة عباسي . والكتاب هذا من اهم المصادر التاريخية في بابه ألفه العالم الاديب المؤرخ هندو شاه بن سنجر . وان كان في اللغة الفارسية كتب مهمة في التاريخ الاسلامي ولا سيما عن عهد المغول فما بعده ككتاب جهانگشا للوزير الكبير عطا ملك الجويني وطبقات ناصري لابي عمرو عثمان الذي اطنب فيه القول عن حكام الهند خاصة وجامع التواريخ للوزير رشيد الدين الهمداني وتاريخ وصاف للخواجه عبدالله وصاف الحضرة وتاريخ كزيده لحمد الله المستوفي وروضة الصفا لمحمد بن شاه محمود في مجلدات سبع أتم المجلدة السابعة حفيده خواند مير وما الى ذلك من كتب يطول تعدادها وهذه جميعها مطبوعة . اما المخطوطة فكثيرة أيضاً لانرى موجبا للكلام عنها هنا . ولكني خصصت كلامي هنا عن كتاب ابن سنجر . لما حواه من مزايا ونكت تاريخية ونصوص نادرة لاتوجد في غيره ولا سيما في باب تراجم وزراء المسلمين منذ العهد البويهي فما بعده . وعلى رغم اهمية الكتاب لم يمر أول من تنبه لاهميته البروفسور براون في كتب التراجم على كلمة واحدة عن المؤلف وقد حاول بعده العلامة محمد خان القزويني فلم يمر وبعده جاء الاستاذ اقبال ناشر الكتاب فانتصر على ترجمة المؤلف من الكتاب نفسه حيث حوى الكتاب الشيء الكثير قيمطاوية عن المؤلف وقد نبهني الدكتور المفضال مصطفى جواد الى ان ترجمة لبعض اخوة المؤلف موجودة في مخطوطة مختصر مجمع الاداب لابن الفوطي فراجعت الكتاب وفي صدفة من المطالعة فيه عثرت على ذلك الذي سأذكره لك . وقد اعلمني الاستاذ احمد حامد الصراف بانه ترجم الكثير من الكتاب الى اللغة العربية وهو يرجو في القريب ان تكمل هذه الترجمة واعلمني انه رأى للمؤلف ترجمة موجزة في كتاب جيب السير الفارسي وعلى رغم طبع هذا الكتاب ليس بمتناول يدي الآن لا تأكد قول الاستاذ الصراف لهذا ساقتصر في ترجمتي للمؤلف على مقدمة الاستاذ عباس اقبال في اول الكتاب مترجما لاغلبها تلك الترجمة التي اخذها من الكتاب نفسه كما قلنا مع اضافات وتعاليق جمعتها من الكتاب ومن مجمع الاداب وعمدة الطالب وكتاب الحوادث الجامعة وغيرها

وقد عرف المؤلف نفسه في اول الكتاب فقال (هو هندوشاه ابن سنجر بن عبدالله الصاحبي الكيراني . .) ومن كلمة الصاحبي نعرف انه كان من خدم الصاحب شمس الدين محمد الجويني او انه كان مملوكا له لان المؤلف كان من اتباع هذه العائلة الجوينية وممن خدم معها هو واخوته وبقية عائلته وهو طالما يذكر في كتابه هذه العائلة بالمدح والثناء والتعظيم فقد ذكر الخواجه علاء الدين عطا ملك الذي كان من اتباع اخيه شمس الدين وقد توفي علاء الدين سنة [٦٨١] هـ وقتل اخوه شمس الدين الصاحب سنة (٦٨٣) هـ وقد ذكره في كتابه ص (٣٤٦) ومن هذه العائلة الخواجه شرف الدين هارون بن الوزير شمس الدين وقد قتل أيضا سنة ٦٨٥ هـ ومنها بهاء الدين محمد بن الصاحب الوزير شمس الدين وكان حاكما باصفهان ومعروفا بالسيرة السيئة .

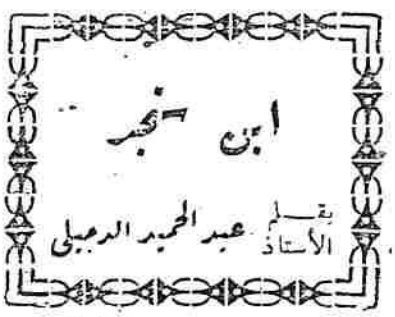

هذه هي العائلة التي كان هندو شاه من اتباعها ، وينص في كتابه على انه كان في سنة ٦٧٤ هجرية نائبا عن اخيه في كاشان كما في ص (٣٠١) وهي المدة التي كان آل الجويني يحكمون فيها ايران والعراق ومن تصريحه هذا يظهر لنا ان الكتاب الف بعد ذهاب هذه العائلة وبعد امارته في كاشان بخمسين سنة .

ومن كلمة (كيران) نعرف ان المؤلف ينتسب لمنطقة آذربيجان ، لان كيران كما في معجم البلدان مدينة بين تبريز وبيلقان ويظهر من الكتاب ان المؤلف نشأ في ولاية نخجوان ويحدثنا المؤلف في ص (٣٤٧) انه درس في المدرسة المستنصرية حيث يقول [.. وفي هذا الوقت كان هذا الضعيف ساكناً في المستنصرية ادرس الطب على ابن قيس النصراني وكان هذا على غاية الكبر والضعف والعجز وكان شرف الدين الطبيب ينوب عنه في الجانب الغربي من بغداد ويقدم هناك عليهم وكان

يدرس نحو مولانا جمال الدين بن ابـــار النحوي . .] واذا راجعنا ص (٤٢٦) من الحوادث الجامعة نرى ذكراً لابن ابار هذا وانه كان مدرساً في المستنصرية سنة (٦٨١) هـ

وفي ص (٢٠٠) من تجارب السلف يحدثنا هندو شاه عن استاذ آخر له اسمه شمس الدين محمد بن الحكيم الكيشي قال (وقد عمل رسالة بالفارسية في شرح الابيات المنسوبة الى الحسين بن منصور الحلاج التي منها هذا البيت المعروف : اقتلوني ان في قتلي حياتي فحياتي في حياتي وحياتي في مماتي)

وكان شمس الدين هذا من الحكماء والعارفين ويذكره ابن الفوطي في حوادث سنة (٦٦٥) هـ ويقول عنه [انه كان مدرساً في المدرسة النظامية ببغداد] ثم بعد ذلك اتصل ببهاء الدين محمد الجويني حاكم اصفهان ثم اتصل بالخواجه نصير الدين الطوسي بالمراسلة ولا ندري حين ذكره هندو شاه في عداد اساتذته انه درس عليه في بغداد او في اصفهان ويذكر ابن الفوطي وفاة شمس الدين هـــذا في ذيل ترجمة سعدي حيث قال : (.. توفي سعدي الشاعر المشهور بشيراز وفيها توفي شمس الدين آل الكيشي) وضمير فيهـــا يعود الى سنة ٦٩٤ هـ وقـد اشتبه طابع الحوادث فضبطه بالباء الموحـــدة والصحيح هو الكيشي بالياء ذات النقطتين التحتانيتين .

ومن المعاصرين لهندوشاه صدرالدين عبداللطيف المنصّري ويدعوه هندوشاه بمخدوم مولانا المعظم كما في ص [١٦٥] من التجارب .

ومن اساتذته تاج الدين علي بن انجب البغدادي المعروف بابن الساعي وينقل عنه في ص (٣٢٠) ومنهم ابن الفوطي وينقل عن كتابه مجمع الآداب كما في ص (١٦) ومنهم جمال الدين ابو القاسم عبـــد الله الكاشي المؤرخ وصاحب زبدة التواريخ ويلقبه هندوشاه بملك الافاضل وقـدوة المؤرخين وسمع عنه شفاهاً بعض الاحاديث . ومنهم الشيخ الكبير شمس الدين محمد بن ساوجي كما ذكره في ص « ٣٥ » ومنهم امام الدين يحيى افتخار البكري القزويني وكانت له سـلطة ونفوذ في دولة الايلخانية في اواخر المائة السابعة للهجرة .

واذا امعنا النظر في تجارب السلف نعرف ان صاحبه كان ذا اطـلاع واسع وذوق حسن وكان أديباً فاضلا ومنشئاً في الفارسية قلما يشابهه احد من ادباء الفرس في عصره . ويظهر من الكتاب ان هندوشاه اخا اسمه سيف الدولة امير محمود قال وفي حدود سنة ٦٧٤ كان الحاكم في كاشان وقد عين وكيلا عنه المؤلف هندوشاه كما في ص « ٣٠١ » ولم يظهر من الكتاب اشارة لبقيـة اخوته الذين ذكرهم الفوطي في مجمع الالقاب . قال الفوطي كما في صورة النسخة الخطيه في مكتبة الآثار العراقية ببغداد « عز الدين ابو الفضائل دولتشاه بن سنجر بن عبدالله الصاحبي الكاتب الاديب نسبة الى الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني اشتغل بالاداب والكتابة وعلم الحساب وهو ثالث الاخوين ناصر الدين قتلغشاه وحسام الدين مغانشاه وكان عز الدين أديباً فاضلا كتب الكثير لنفسه واقتنى لنفسه كتباً نفيسة دمث الاخلاق رأيته واجتمعت به وكتبت عنه سنة ثمانين . . »

توفي هندوشاه سنة ٧٢٤ هـ كما يظهر من آخر النسخة الخطية التي طبعت وخلف ولداً اسمه شمس الدين محمد وقد عرف بشمس الدين منشئ النخجواني وله كتاب في الانشاء سماه دستور الكاتب في تعيين المراتب فرغ منه سنة ٧٥٧ هـ في عهد السلطان اويس بهادرخان وله كتاب آخر اسمه صحاح العجم قدمه للخواجه غياث الدين الوزير الكبير في عهد المغول والعالم المؤلف المشهور وله ترجمـة موجزة في مجمع الالقاب وفصل احواله جيداً الاستاذ عباس العزاوي في الجزء الاول من تاريخ العراق ومن كتاب صحاح العجم نسخة في المكتبة البريطانية رقم ١٨٩ من ذيل الفهرست للكتب الفارسية .

وأول من فكر بطبع الكتاب هو المستشرق البروفسور براون ثم عاجلته المنية فتأخر طبعه حتى عزمت الحكومـــة الايرانية على احياء بعض الكتب الفارسية المهمة فعهدت بطبع هذا الكتاب الى الاستاذ الباحث عباس اقبال فقدم له مقدمة ضافية ترجمنا اغلبها في هذه المقالة وعلق على الكتاب تعليقات مهمة ومما قال في المقدمة (. . هذا واحد من الكتب الكثيرة الاعتبار ولم يطبع حتى الآن ولا يوجد في النثر الفارسي البليغ في تأريخ الخلفاء ووزرائهم مثله إلا قليلا ولا سيما وهندوشاه

كان منشئا وذا ذوق فصب كتابه في عبارات سلسة وفصيحة وسهلة الفهم وجاء بحكايات جذابة ومعلومات مهمة ولمجرد قراءتك الكتاب تعرف منزلة الرجل الادبية التي هي هبة الله لبعض الناس تضاف الى معلوماتهم الكسبية . اطلع هند وشاه على الفخري تأليف صفي الدين محمد بن علي ابن طبا طبا العلوي المعروف بابن الطقطقي وقد ترجم اغلب مافي الكتاب وزاد عليه حوادث واخبارا الى درجة ان الزيادة ضاهت في الحجم الفخري فجاء تجارب السلف اوسع في موضوع تأريخ الخلفاء ووزرائهم .)

ومن هذه المقدمة تعرف ان الاستاذ عباس اقبال يعتقد ان ابن سنجر ترجم الفخرى وزاد عليه ولكننا لودققنا في مقدمة ابن سنجر نراه يقول (. . الصلوات الناميات والتحيات الزاكيات . . على موضح السبل ابى القاسم محمد وآله واصحابه يقول محرر هذه الاقوال الفقير الى الله الغنى هند وشاه . . اشتهرت المكارم والفضائل . . للمخدوم المعظم اتابك اعظم ملوك العالم . . احمد بن اتابك الماضي السعيد . . يوسف شاه هذا الكتاب الموسوم بتجارب السلف في علم التاريخ . . اخذته من كتاب منية الفضلاء في تاريخ الخلفاء والوزراء من تأليف المرتضى السعيد . . العلوي الطقطقي الذي الفه لخزانة المخدوم المربي لهذا الضعيف . . جلال الحق والدنيا والدين زنكى شاه ابن الصاحب السعيد بدر الحق والدين حسن بن احمد الدامغاني . . الخ)

وهذه المقدمة تدلنا على ان هند وشاه اطلع على كتاب لابن الطقطقي الفه لزنكى شاه بن الدامغاني واذا راجعنا الفخري نرى ابن الطقطقي يذكر في مقدمته انه الفه لفخر الدين المسيحي حاكم الموصل ومن هذانعرف ان الفخري غير منية الفضلاء الذي الف لابن الدامغاني وعائلة الدامغاني عائلة معروفة خدمت الدولة المغولية منذ تولى فخر الدين بن الدامغاني الديوان ببغداد لهلاكو وكان هذا من اتباع التتر ومن اكابر رجالهم وقد وشى به انه اطلق من السجن في المدائن رجلا من انساب الخليفة المستعصم فتوجه الى الشام ومن جراء ذلك اعتقل ابن الدامغاني وتوفي بنواحي اسنى من أذر بيجان . وقام بعده من اولاده من تولى الامارة (١) والوزارة ومنهم هذا الذى قدم له ابن الطقطقي منية الفضلاء والشيء الآخر الذى يلفت النظران ابن الطقطقي اهدى كتابا ثالثاً في التاريخ باسم خزانة ابن السواملي الامير المعروف قال في جمع الالقاب من نسخة الدكتو مصطفى جواد ومن خطه (عزالدين عبدالعزيزبن شيخ الاسلام جمال الدين ابراهيم بن محمد بن سعدي الطبي المولى . كيس الاخلاق قدم مدينة السلام فى غرة سنة احدى وسبعمائة وخرج الصدور والنواب لاستقباله وحدر لو اسط في ابهة جليلة وهو الآن حاكم شيراز وبلاد فارس واليه توجه مولانا صفي الدين ابو عبد الله ابن طبا طبا الحسني وهو عنده مقيم وقد صنف لخزانة كتبه كتابا في التاريخ .)

وبناء على هذه النصوص التي ذكرتها لك تعرف ان لابن الطقطقي كتبا ثلاثة في التاريخ الفها لأمراء ثلاثة ولكل امير مشربه واتجاهه فلا يصح اذن ماذكره الاستاذ اقبال بان هند وشاه ترجم الفخري وانما النص الصريح انه ترجم منية الفضلاء وهو غير الفخري بل يختلف عنه كثيراً حتى في الرأي والاتجاه وبعد كل هذا فمن هوابن الطقطقي لنعرف سر هذه التآليف الثلاثة .

ابن الطقطقي هوصفي الدين محمد بن النقيب تاج الدين علي ابن رمضان وتاج الدين هذا كان نقيباً متنفذاً جماعا للمال والعقار والضياع ثريا جداً حتى بلغ من امره ان كتب للسلطان ابقا ابن هولا كوفي عزل صاحب الديوان علا الدين بن الجويني فوقع المكتوب بيد الوزير اخيه شمس الدين ابن الجويني فنبه اخاه وحذره منه فأمر جماعة من اهل الحلة فهتكوا به ليلا وضربوه بالسيوف ونهش عنهم علاء الدين وقتلهم واستولى على اموال النقيب واملاكه ولما قتل تاج الدين هذا اخذ والده يتنقل في البلدان وتوجه عن طريق الموصل الى تبريز فعينه امير الموصل قاضيا فيها مدة ثم ترك القضاء وتوجه الى ايران

[١] حكم احفاد ال الدامغاني في بعض جبال ايران وفي بلاد لورستان

خاتصل بامرائها والف باسم خزانة بعضهم الكتب التاريخية كما الف كتباً اخرى (١) وكانت عائلة الطقطقي تسكن في الكوفة ذات شهرة واسعة وهم من آل طبا طبا ولكنهم ينتسبون الى احدى جداتهم المسماة طقطقي ويعرفون ايضا ببني رمضان كما في العمدة ومما ذكر نامن امر قتل والد صفي الدين تعرف سر محامل ابن الطقطقي على آل الجويني كلما سنحت فرصة لذكرهم في كتابه الفخري وتعرف ان هند وشاه غير كثيرا من انجاه المؤلف حين ترجم كتابه منية الفضلاء الى الفارسية بعد ما ازاد عليه كثيرا ونحن اذا دققنا في كتاب هند وشاه نراه على العكس مع آل الجويني فهو يحترمهم كلما سنحت فرصة كما مر بك ولم يكتف بهذا التغيير بل حذف كثيرا منه ومما حذفه الموضوع الذى طرقه في الفخري وهو قسم الاداب السلطانية وسياسات الملوك واضاف على الكتاب نفسه سيرة الرسول واحوال جملة من وزراء آل بويه واللاحقة وبعض احوال بني العباس ووزرائهم وبما ان منية الفضلاء ليس بايدينا وكذلك كتابه الذى قدمه لعز الدين ابن السوامليفنكتفي بالموازنة بين تجارب السلف والفخري وقد نقل هند وشاه حكايات وحوادث واشعارا وتراجم عن كتب كثيرة غير كتاب ابن الطقطقي ومن تلك الكتب ترجمة الطبرى بالفارسية كما في ص (٤١) من التجارب وكامل ابن الاثير في ص (٣٢٨) وشرح نهج البلاغة في ص (٣٩) وكامل المبرد في ص (٤١) والمعارف لابن قتيبة في ص (٤٢) وابو مسلم نامه للطرطوسي في ص (٨٤) وسير الملوك لنظام الملك في ص (١٩٥) واخلاق الوزيرين ومثالب الوزيرين لابي حيان التوحيدي في ص (٢٤٢) ونفثة المصدور لانوشروان الوزير الكاشاني وجوامع الحكايات لسديد الدين عوفي في ص (٧٣) وتاريخ ابن الساعي في ص (٣٢٠) ومعجم اهل الادب لابن الفوطى وغير ذلك من الكتب القيمة .

حميد الجبلي

---

[١] نقل لي الدكتور مصطفى جواد بان في بعض تراجم ابن الفوطي في مجمع الآداب ينقل عن كتاب الغايات لابن الطقطقي .

روح التعاسة

للمرحوم الجليل السيد عباس شبر

فجع الفضا بنهاره فبكى على انواره
فالافق مسود الاديم ينوء في اكداره
صبغ الظلام له سرا بيل الحداد بقاره
واعا لذاك الروض جا . . . له الدجى بستاره
فتراجعت انفاسه قهرا الى ازهاره
حتى لقد عقد الكرى فيه لسان هزاره
فتخارست اطياره وغفت على اشجاره
والكون ساد به السكون فكان رمز وقاره
كم تحت هذا الليل من راض وكم من كاره
من موسر قد بات يد أب في حساب نضاره
او بائس يذري مدا معه على اطماره
او عاشق اصلى الغرام فؤاده في ناره
أو فيلسوف يرتأي الآ راء ثمت افكاره
او راصد قد بات يرـ عى النجم في منظاره
او تاجر أبداً يجيـ ـل الفكر في اسعاره
او سارق متفكر في سلبه وفراره
أو مدمن ضحى جميـ ـع عقاره لقماره
او احمق قد بات مشـ ـغولا بلعب قماره
او ساقط سكب الحيا بفجوره وعهاره
او نازح يبكي الغر بته وبعد مزاره
او فاقد نهس المصاب فؤاده بقراره
او مسقم امسى يهد ده الردى ببواره
او عالم قد بات منـ ـحنيا على اسفاره
او كاتب سهر الدجى ليفوز في مضماره
او شاعر امسى يذيـ ـع الهم في اشعاره
يبني بيوتا عامرا ت والخراب بداره
روح التعاسة والشقا ترف فوق جداره

البصرة :

عباس شبر